الأبعاد الدلالية للأرض في شعر السائحي

د. عبد الحق منصور بوناب

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة. الجزائر

الملخص :

ينطلق السائحي من الأرض ويعود إليها فهي مصدر الإلهام والعطاء، و حاضنة الثـــورة والثوار، بل بنفسها تمارس الثورة، حيث يمتزج البعد الثوري التحرري بـــين الأرض والإنســـان وتتحطم كل الأغلال والقيود ويلوح فجر الحرية، فالأرض أطعمت أبناءها مبادئ الحرية والعدل، فهبوا يبنون صرحها بقوة وعزيمة، والموت الذي أراده الأعداء للشعب والوطن تحول إلى موت مضاد يقتل الأعداء ويبيدهم، وسياسة المستعمرين لإبادة الشعوب انقلبت ضدهم بثورة الشـــعوب المضطهدة وتحررها من كل القيود والأغلال، ولم تنجح حملات التطهير والتهجير، فإذا بعوامـــل الإضعاف والإذلال تتحول إلى عوامل قوة وتوحد وثورة شاملة تكتسح ما يواجهها من غطرســـة وزيف، وجور وظلم، فالكفاح التحرري يجد صدى لدى الأرض والإنسان في كل مكان.

هذه القضايا سيتطرق إليه هذا المقال من أجل الكشف عن الأبعاد الدلالية للأرض عند السائحي.

تشكل الأرض علامة دلالية أساسية في شعر السائحي، ولعل سر اهتمامه بها، وحديثه عنها، وتغنيه بها كونها الأم الأولى للإنسان، وعليها تقع أحداث الكون، وما فيها من مسرات وأحزان، ولا يجد الشاعر صعوبة في الاعتراف بمصدر مجيء الإنسان قائلا:

واذكري أننا من الطين جئنا كم وكم فيه من غرور غبي

فإذا ما دنا من الأرض أبدى قوة تزدري بكل قوي

هذه حكمة الرجوع إلى الأرض فإذا هام بالسماء الضعيف

حيرته غوامض الكون وانثالت عليه مزاعم وطيوف[1]

لقد تم التركيز على الجزء الأهم في الأرض ؛الطين التي خلق منها الإنسان، الذي سرعان ما يتناسى أصله وتتقاذفه الأهواء والرغبات، ويصيبه الغرور والتكبر والتعالي والتفاخر، ثم جاء ذكر الأرض في بيتين متتاليين بعبارتين مختلفتين:"فإذا ما دنا من الأرض"، " هذه حكمة الرجوع إلى الأرض " ؛ فالأرض مصدر الحكمة بواقعيتها وبساطتها واستوائها أما " الكون " فهو مصدر الغموض والحيرة وهكذا((يتعامل المبدع مع الأشياء من حيث ما تمثله لأناه، ومن حيث تبدو مقدرته على إمتاع المتلقي وجذبه نحو موضوع، ومن حيث قدرته على أن يجعل لموضوعه لدى المتلقي الوظيفة نفسها أو قريبا مما يراه هو أو يجعله عليها)).[2]

لعل أعمق وأقوى علاقة بين الإنسان والأرض هي الإحساس بالانتماء إليها وهذا ما نجده جليّا هنا:

هذه الأرض قد ولدت عليها وملأت الفؤاد شوقا إليها

كيف أنسى مرا بعي وكئيبي كيف أنسى صباي بين يديها[3]

نحس بأن الشاعر قد انفصل عن الأرض التي ولد عليها، وعاش الغربة والاغتراب بعيدا عنها، وكابد الشوق والحنين إليها، ثم جاءت لحظة اتصال جديد بينه وبينها فهو لا يستطيع أن ينسى أمه الأولى " الأرض "التي عاش صباه بين يديها، ((إن التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو حتى الأسطورة والإيديولوجيا هي ثمرة التفاعل بين نظام صوتي ونظام دلالي، يريد واحد منهما أو كلاهما أن يغير وظيفته سرا، ويمكن للتوتر الدلالي أن ينشأ عن عنصر صوتي مثلما ينشأ عن عنصر دلالي)).[4]

لقد استعمل الشاعر صيغة السؤال "كيف أنسى " مرتين، المرة الأولى ليؤكد أنه لن ينسى مرابع الصبا، والمرة الثانية ليؤكد أن مرحلة الصبا كانت رائعة فوق تلك الأرض الطيبة، التي لا سبيل له لنسيانها أو التنكر لها كما يفعل بعض الجاحدين الذين سرعان ما ينسون أصلهم البسيط ويذوبون في الحواضر الجديدة، وهو لا يجد حرجا في الاعتراف للأم الأولى "الأرض " بالفضل والسخاء والكرم:

يا أرض سيخي فما يعلوك ذو كرم
بل عمك الموج موج النفس للعدم
كم أنت محسنة يا أم من قـــدم
لكن طغى الظلم والعدوان في الأمم [5]

وكيف يمكن أن يوجد فوق الأرض من هو أسخا منها وكل ما فوقها هو منها ولها، فهي التي لم تبخل بالرزق على ساكنيها –بإذن ربها– من بشر وشجر ودواب، وكل من فوقها بإمكانهم العيش جميعا في إخاء وسلام وعيش رغيد، إلا أن الظلم والطغيان سبب الخراب والدمار الذي تعيشه، فالأرض محسنة ولكن الناس هم الذين يتميزون بالبخل والجشع وحب السيطرة، وهذا ما يخلق جوا مأساويا يتميز بالعذاب والشقاء:

كيف المسير

وأرضنا

تحت الغزاة تناثروا

وسلاحنا

شعب أناخ عليه

حكم جائر

وحليفنا

أمراء

ناموا في القصور

وفاخروا [6]

لقد تفرق الغزاة بالأرض قطعة قطعة، وبلدا بلدا، حتى أمست كأنها حبات متناثرة، بعدما كانت قطعة واحدة متصلة ذات صبغة واحدة وهوية واحدة، فصارت كل قطعة بلون مستعمر غاشم مستبد حال دون أسباب العزة والحرية، أما الحلفاء فهم لا يعطون إلا الأقاويل والخطب الرنانة التي لا تفيد شيئا، وصار الوطن يبكي وينوح:

يا من يفدي

وطنا يبكي لك في قلبي

قمم الخلد

لك من شعبي قبل الحب

لك من أرضي

صدر ما ضم سوى الشعب [7]

فالأرض الثائرة و الإنسان الثائر سيجد الحب والترحاب من الأرض التي تحتضن الأحرار في كل زمان ومكان إنها الجزائر التي تحولت إلى كعبة للثوار والأحرار:

ألا يا أرضنا المخصاب تيهي فذا ركب الإخاء بدا وسارا

ولن يلهيه عن قصد نقيق ولن يقوى على الصد الحيارى

وكنا في الجزائر أو بصنعا ء أو بغداد أو مصر المنارا

دمشق إليك من وطني سلاما يضوع على المدى أرجا وغارا [8]

فالأرض أم ولود تفاخر بأبنائها الأحرار الذين خلصوها من دنس الاستعمار والمستعمرين، ولن يقف في سبيل وحدة الأرض العربية ضعاف النفوس أو الحيارى، فالخطاب واضح وصريح لا لبس فيه و المبدع ((ليست بينه وبين المتلقي حواجز أو موانع، ولا يتصورن مبدعا لا يضع في اعتباره أولئك الذين يتلقون إنتاجه، فالمتلقي قابع في ذات المبدع في أشد لحظات إشراق الفكرة ومكابدة ولادتها لتصير وجودا حاضرا بالفعل بعد أن كانت مجرد إمكانية)).[9] ويوضح أكثر ما سبق ويدعمه قول الشاعر:

إن يقل خادعوا الجموع ستشقى الأرض تبلى تضيع بين الضعاف

قل لهم يا أخي ورأسك مرفوع فأنت الغداة خير هتاف

هي أرضي لها دمي عرقي من طينها مشعلي وعنها اعتكافي

فاكذبوا ما شئتم فلن تصلوا إلا إلى قبركم بوادي الخلاف [10]

يفضح الشاعر زيف المتآمرين على الوطن " خادعوا الجموع "، ويؤكد أن الأرض لن تشقى ولن يصيبها إلا كل خير بفعل إخلاص أبنائها ومثابرتهم، كيف لا وهي تسقى بالدم من أجل تحريرها، وتروى بالعرق من أجل إعمارها، ومن طينها يستخرج مشعل الحرية والكرامة والعزة والسؤدد، وأن مآل المخادعين هو القبر حيث يصبحون نسيا منسيا، لقد استعمل الشاعر

الأرض والطين والقبر للتعبير عن دلالات مختلفة، فالأرض تضم الجميع إلا أن الذين يحملون المشعل هم الذين يمتزج عرقهم مع التراب فيتحول إلى طين يشكل في تشكيلات مختلفة للبناء ومشاعل للتقدم والرقي، أما مصير المندسين والعملاء فهو القبر أي مقبرة التاريخ والنسيان والهوان، وهكذا يصبح للحياة معنى وللأرض قيمة في نفوس الكادحين:

خفقات الحب ألحان لقاء ومرام

ونشيد الأرض ورد وزهور للكرام [11]

فالأرض التي سقيت بالدم ورويت بالعرق أعطت ورودا وزهورا وثمارا يانعة مختلفا أكلها، وبالتالي طابت الحياة لساكنيها وتلاقت إرادة الشعب الأبي مع عطاء الأرض الثائرة:

في أرض الجزائر

في نفوس الشعب

شعب لم يزل

في الأرض ثائر [12]

ينطلق الشاعر من الأرض ويعود إليها فهي مصدر الإلهام والعطاء، و حاضنة الثورة والثوار، بل بنفسها تمارس الثورة:

يا ثورة الأرض والفلاح في وطني

من سدرة المنتهى

من قمة الشهدا

يحنو عليك الدم الفوار متقدا

ويسطع النور في الأعماق يا وطني

لكي يضيء الطريق الحر للسفن

فلا تميل مع الأهواء والغرر[13]

يسجل الشاعر تلاحم الثورة التحريرية مع الثورة الزراعية، ثورة الفلاح، مبرزا ألفاظ " الوطن، الدم، النور، الأعماق، الطريق " التي تصب جميعها في مجال المزاوجة بين الماضي المجيد والحاضر المتميز، وهكذا فإن أدب ما بعد الثورة ((يسير في اتجاهات ثلاثة: الاتجاه الأول هو اتجاه المستمرين في تسجيل أحداث الثورة وحربها مستوحين منها مادة شعرية وقصصية ولم ينج بعضهم من اجترار الأحداث وتكرارها، والثاني هو اتجاه المخضرمين الذين عاشوا الثورة وساندوها ثم تحولوا إلى الأفق الجديد متطلعين إلى ثورة البناء الجديدة، وبينهم المتطرفون الذين انتقدوا الوضع بعد الثورة، وارتدوا عليه، وهاجروا من الجزائر، والثالث هو اتجاه العقائديين والمستقبليين الذين انتقدوا الوضع وقدموا الحلول من خلال عقيدتهم أو مفهومهم للتطور والتحرر فنادوا بهدم المؤسسات التقليدية للتخلف في ظل الاستقلال)).[14]

وفي سياق متصل يصف الشاعر نضال الأرض والثوار في كل مكان، فيقول:

تحية

إلى الجراح النازفة

في قمة الجبال في قلب الصحارى

تحية إلى الجموع الزاحفة

في القدس في يافا وفي كل الديار[15]

لقد جمع الشاعر عناصر الطبيعة الكبرى (قمم الجبال، قلب الصحارى) ثم أرسلها بقوله " وفي كل الديار" فهذا التعبير أشمل وأكثر مناسبة للفعل الثوري التحرري، حيث يجتمع الإنسان والأرض على رفض الظلم والطغيان، والاستعباد والاستغلال، ولن يكون ذلك دون تحقيق

الاستقلال التام من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية وهذا ما ترد الإشارة إليه فيما يلي:

وطني
لن ترى المجاعة
تجثو فوق أرض
سالت عليها دمانا
وطني
لن يدوسنا البؤس
مهما حلم الطامعون
في مجتنانا [16]

إن الأديب عليه أن يلتزم ((قضايا وطنه، ولا سيما في البلاد النامية التي تعاني من مشاكل الاستعمار والفقر والتخلف، ولكن هذا الأدب الملتزم يجب أن لا تقيده الحدود العقائدية والحزبية ولا تطغى عليه الأحداث الثورية المتدافعة فتحكمه مضمونا وأسلوبا، فعلى الأديب أن يتبنى قضية الإنسان الحر الذي تكون العقيدة السياسية في خدمته قبل أن يكون هو خادما لها)).[17]

لقد أكد الشاعر في الأسطر الشعرية السابقة على قضيتين، أولاهما أن الأرض التي سقيت بالدم لن يسري في أوصالها الجذب ولن يجوع أهلها فالفعل الثوري يستمر، وأما القضية الثانية فهي أن الشعب قد أنعتق وإلى الأبد من القيود والأغلال والاستغلال وبلغة الواثق يتحدث الشاعر: "لن ترى المجاعة"، "لن يدوسنا البؤس"، فالمستقبل بحسب الخطاب المستعمل لن يكون

إلا مزهرا ومشرقا، وبالتالي فالشاعر تقريري، يميل إلى الشعر الخطابي المباشر، ويبتعد عن العمق والإيحاء.

وفي قالب تسجيلي يصف المبدع الأرض وهي ترزح تحت وطأة المستعمرين الغاصبين وما أحدثوا فيها من تخريب وتقتيل لأهلها:

وغادروا الأرض والأهلين مقبرة تئن فيها شكاة من دواهينا

وقال قائلهم عدنا بفائزة فكم قتلنا من الثوار ناجينا

أهكذا تصنع الأنباء من كذب ويفتري كل زور من يعادينا [18]

إن استعمال الأفعال " غادروا، تئن"، "قال، قتلنا" فيه مزاوجة بين الماضي والحاضر، ووصف المستعمرين يتسم بنوع من التشكيك في أقوالهم المبالغ فيها، وهذا ما يرد في البيت الأخير" كذب، يفتري"، فالعدو الغاشم كي يغطي فشله في مقارعة الثوار يلجأ إلى التضليل الإعلامي قصد تلميع صورته وإظهار قوته أمام أبناء الوطن لبث الخوف وإحكام سيطرته على البلاد والعباد.

وفي مقام آخر يصف حال الأرض وأهلها وما تفعله فرنسا بهم:

فما ترى أرضنا إلا حماة حمى حصونهم ملجأ يأوي الميامينا

أما الضعاف فقد ظلت تسومهم عصا فرنسا أسى مرا أفانينا

ويلي على أسر في لحظة هدمت فضمها الترب أشلاء تنادينا [19]

إن استعمال الشاعر لكلمتي " الأرض، حصونهم " أراد من خلاله بيان قوة المجاهدين، وصلابتهم في مواجهة الاستعمار، فالأرض تتميز بالتماسك والصلابة، والحصون تتميز بالقوة والمنعة، وحصون المجاهدين في حقيقة الأمر لم تكن إلا الجبال، والغابات، والكهوف، لأن المعركة كانت تدور بين طرفين، طرف ظاهر هو المستعمر، وطرف خفي هم الثوار، هذا من

جهة المقاومة والكفاح، أما من الجهة الأخرى فالشعب الأعـزل يـرزح تحـت بطـش فرنسـا وجنرالاتها، ويذوق ألوانا من العذاب عبر عنه الشاعر بكلمة " أفانينا "للدلالة على التعدد والتنوع والاختلاف، ((وإذا كان علم الكتابة يطالب بإقامة توازن بين الكلام والكتابة، بانتقاد الـدال مـن المدلول لصالح تعدد الدلالات...وإذا كان كل شيء يجري في تتابع خطي بصري، فإن المكـان سيكون الخلفية الفاعلة الوحيدة أيضا أي أن الزمان سيتراجع إلى مجرد دعامـة شـكلية لتثبيـت المكان)).[20]

إن المكان (الأرض، الحصون) يتميز بالوحدة والقوة، لأن الـزمن زمـن المواجهـة ومقارعة الأعداء، بينما نجده يتميز بالتفتت والتلاشي تبعا للحدث الذي يقع وهذا ما يـوحي بـه قول الشاعر" فضمها الترب"، فالإنسان الأعزل هدم بيته من طرف المستعمرين فضمه التـراب وصار مسكنه الأبدي، فالوقف هنا يتسم بالضعف والانكسار، والمكان " الترب" هو أحسن تعبيـر عن الموقف المعبر عنه لأن التراب يتسم بعدم التماسك والهشاشة، فحاله كحال الأشـلاء التـي تستغيث وتنادي بالثأر من الأعداء.

وفي موضع آخر تتحول الأرض إلى ثارة تتفجر غضبا:

لم يا ارض نعنى أتراك اليوم ... في غضبتك الكبـــرى علينا

ما جنى إخواننا ذنبا ولا نحن ... عصيناك ولا نـــحن جنـينا

فارحمينا من خطوب الدهر إنا ... من خطوب الظلم ظلم الناس نشقى

أبدا نمشي ولا ندري إلى أين ... إلى أين إلى الموت سنـــلقى[21]

إن تلازم المكان" الأرض " والزمن من خلال الأسماء والأفعال " اليوم، جنى، عصيناك، جنينا، فارحمينا..." فيه تواصل وترابط بين الإنسان والأرض، فالإنسان لا بديل لـه عـن أرض آبائه وأجداده، والأرض لا تريد أن تكون إلا حرة من كل أنواع الاستلاب والتبعية، لذلك يستجير

الشاعر بالأرض طالبا منها أن تقوم باقتلاع الظالمين والقضاء على الشقاء والظلم، مبديا حيرته وتساؤلاته اللامتناهية، لكنه يعرف أن نهاية المسار ستكون الموت لا مفر، إلا أن هذا الحدث الذي سوف يأتي يبقى زمنه مجهولا، وهذا ما يزيد الشاعر حيرة وتشبثا أكثر بأمه الأولى " الأرض " إلى أن تأتي ساعة الخلاص:

ليثور من جبل الخلود

بركان عاصفة

على الأرض السليبه

يهتز في إعصارها أمل العروبه [22]

إن إحساس الشاعر ببعد لحظة الثورة الكبرى جعله يوظف كلمة "جبل " ملحقا إياها بالخلود، والجبل بما يحمله من دلالات ومعان كالمنعة والشموخ والأصالة حقيق به أن يكون مصدرا للثورة الكبرى، ومنبعا لها كما كان الحال في ثورة التحرير الجزائرية–مثلا–حتى تسترد الكرامة العربية بتحرير " الأرض السليبة " ويقصد بها فلسطين، فمتى يتفجر بركان الغضب والثورة العارمة ؟ فالشاعر((قد يتشابه عليه الأمر لكنه لا يخطئ التقدير، فالثورات في رأيه وإن تعددت أساليبها النضالية وسجلت التفوق والنجاح في كل من الجزائر وكوبا مثلا فإنه يبق لكل نهر مجراه ومرساه)).[23]

ويبقى البعد التحرري في إفريقيا والجرح العربي في فلسطين ممزوجا بالتراب والطين–الذي يعشقه الشاعر ويغني له–مصدرا ملهما له:

إنها الطينة التي أرضعتنا بلبان من الأسى والحنان

إنها التربة التي أطعمتنا رغم ظلم العدى وعسف الزمان

إنها صوتنا المشع ضياء رغم ما في قلوبنا من طعان

إنها ثورة التحدي على أر ض فلسطين رغم كل رهـــان[24]

فحين أراد الشاعر أن يعبر عن الرقة والعطف استعمل كلمة " الطينة " لما فيها من رخاوة تتناسب مع رخاوة الثدي الذي يرضع الطفل الصغير حليبا سائغا، وحين أراد أن يعبر عن موقف آخر استعمل كلمة " التربة "، لأن التراب يحتضن الحب ثم ينمو ويصبح أغصانا وأشجارا وسنابل مثمرة يطعم منها الناس، وتبقى الأرض الصوت المشع بالأمل رغم ما في الحياة من كدر وهم وغم، ويبقى التحدي والأمل سبيلا للخلاص وقلب الموازين، فالأبيات السابقة فيها ثراء من حيث الدلالات ((وإذا كان للنص أبعاد دلالية ذاتية واجتماعية وتاريخية، فإن هذه البنية هي مفتاح ولوج فضاءاتها وأهم وسيلة لارتيادها وبلوغ مراميها)).[25]

ويبقى الجرح النازف في أرض فلسطين السليبة مصدرا مهما من مصادر إبداع الشاعر، إذ يفند مزاعم اليهود بشأن أرض الميعاد:

قالوا فلسطين الحبيبة أرضهم كذب الطغاة ونحن أين الموعد
كلا فلسطين التي هضباتها فرع له لبنـــان أصل يسند
والأردن الغالي ومصر تحدها والأبيض المتوسط المتوسد
فبـــلادنا وبلادنا أبدا وإن زاغ الحفـــاة ورددوا ما رددوا[26]

لقد جمع الشاعر بين موقفين ؛ موقف مزيف وكاذب وهو ادعاء اليهود أن فلسطين هي أرضهم "أرض الميعاد " وموقف العرب والمسلمين من قضية فلسطين فأين الموعد بتحرر فلسطين من الاستيطان الصهيوني، ثم حدد حدود فلسطين والدول العربية الشقيقة المحيطة بها " لبنان، الأردن، مصر "فضلا عن البحر الأبيض المتوسط، ثم أكد على أصالة وقوة الانتماء وعمق الهوية وتجدرها في سجل التاريخ البشري مستعملا التوكيد اللفظي " فبلادنا و بلادنا " وفي هذا نسف للمزاعم والأكاذيب الصهيونية، فمهما رددوا من أقاويل يبقى موقفهم يتسم

بالضعف والهشاشة لأنهم عاشوا انفصالا عن الأرض التي يدعون أنها أرض ميعـــادهم، بينمـــا العرب والمسلمون هم أحق الناس بأرض فلسطين لما أشاعوا فيها من سماحة وعـــدل واحتـــرام لباقي الديانات والأقليات، وتبقى فلسطين بما تحمله من تاريخ أرض المعارك كما يقول الشاعر:

أرض المعارك والملاحم والإبا والوحي في عرصاتها يتـــردد

لا طيب للعيش الذليل وإنمـــا عيش التفاني في المعامع أحمد [27]

يبحر الشاعر في استدعاء تاريخ فلسطين المليء بالسير والمعـــارك والنبـــوءات، فهـــي أرض الوحي عبر العصور، ويرى أن الحل الأنسب لاسترداد فلسطين وتحريرها لا يمر إلا عن طريق الحرب المقدسة التي تطهر فلسطين من كل دخيل وأفّاق، وتطهر كل أرض مستعمرة من كل مستوطن ومستعمر وهذا ما يؤكده بقوله:

قد بنيت الشباب جندا متينا فبنى صرحك المتين الشباب

وأراد العـــداة موتا زؤاما فإذا الموت في يديك شهـــاب

وأراد الطـــــغاة محقا مبيـــدا فـــإذا المحق ثورة منجاب

ورماك العدى بتشتيت شمـــل فإذا بالشتات شعب مهـــاب

ودعاك الكفاح من كل صوب فهلمي إلـــــيه أنى يصاب [28]

حين يمتزج البعد الثوري التحرري بين الأرض والإنسان تتحطم كل الأغـــلال والقيـــود ويلوح فجر الحرية، فالأرض أطعمت أبناءها مبادئ الحرية والعدل، فهبوا يبنون صرحها بقـــوة وعزيمة، والموت الذي أراده الأعداء للشعب والوطن تحول إلى موت مضـــاد يقتـــل الأعـــداء ويبيدهم، وسياسة المستعمرين لإبادة الشعوب انقلبت ضدهم بثورة الشعوب المضطهدة وتحررها من كل القيود والأغلال، ولم تنجح حملات التطهير والتهجير، فإذا بعوامل الإضـــعاف والإذلال تتحول إلى عوامل قوة وتوحد وثورة شاملة تكتسح ما يواجهها من غطرســـة وزيـــف، وجـــور

وظلم، فالكفاح التحرري يجد صدى لدى الأرض والإنسان في كل مكان، ومع تحرر الأرض من الاستعمار انطلقت ثورة البناء والتعمير ودفع ضريبة العرق والجهد من أجل رفعة البلاد وتطورها:

عر ق الجبين أضاء أرضا حرة وسقى بلادا زاد في إمحالها
السيد الجبار مات بأرضنا والأرض قد عادت إلى عمالها [29]

لاشك أن جهود العمال هي جهود معززة لثورة التحرر من كل تبعية اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، ذلك أن الأرض أصبحت مشرقة مروية بجهود أبنائها المخلصين بعد تحررها من ربقة المستعمرين الغاصبين وعودة الأرض إلى من يخدمها.

إن استعمال الأرض ومرادفاتها " التراب، الجبال، الهضاب، الربوة..."أراد السائحي التأكيد بها على الانتماء والهوية والأصالة، وإثبات العلاقة بين الإنسان والأرض، فهي علاقة أخذ وعطاء، وهي علاقة تآزر وتضافر للجهود، فالأرض – وهي الأم الأولى للإنسان– تحنو على أبنائها فيقابلونها بالوفاء والإخلاص ومن هنا لا يجد السائحي حرجا في الاعتراف بحبه للمرأة الممتزجة بالأرض :

لك حبي أينما كنت على الأرض الخصيبة
أو على الربوة في شوق حبيب
في عيون النبت عطرا
وظلالا[30]

إنّ السائحي لا يترك مناسبة إلاّ ويعلن عن حبه الأبدي للأرض التي احتضنته في صباه وعاش فوقها مغامرات شبابه، وحقق كثيرا من أحلامه وطموحاته، وهو مؤمن أنها ستحتضنه بكل حب حينما يفارق الحياة ويدفن في ثراها ؛لأنه عاش حياته محبا لها ومدافعا عن حريتها و طهارتها.

هوامش البحث :

(1) محمد الأخضر عبد القادر السائحي.ألوان من الجزائر.المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر. ط2. 1982.ص .87.

(2) إسماعيل الملحم. التجربة الإبداعية . منشورات اتحاد الكتاب العرب. سوريا. ط1 . 2003.ص 25 .

(3) محمد الأخضر عبد القادر السائحي .المصدر السابق.ص99 .

(4) سعيد الغانمي .منطق الكشف الشعري.المؤسسة العربية للدراسات والنشر .لبنان.ط1. 1999. ص48.

(5) محمد الأخضر عبد القادر السائحي.المصدر السابق. ص 48 .

(6) المصدر نفسه. ص104.

(7) محمد الأخضر عبد القادر السائحي.أغنيات أوراسية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط1. 1979. ص 96 .

(8) محمد الأخضر عبد القادر السائحي.الكهوف المضيئة. المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر. ط1. 1971.ص 100 .

(9) إسماعيل الملحم.التجربة الإبداعية.ص 21 .

(10) محمد الأخضر عبد القادر السائحي.المصدر السابق.ص92-93.

(1) المصدر نفسه . ص53.

(12) المصدر نفسه.ص 32 .

(13) المصدر نفسه. ص113.

(14) نور سلمان .الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير.دار العلم للملايين . لبنان. ط1. 1981.ص16-17.

(15) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. بكاء بلا دموع .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر.ط1.1980.ص91.

(16) المصدر نفسه. ص66 .
(17) نور سلمان.الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير.ص 17 .
(18) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. المصدر السابق . ص 50 .
(19) المصدر نفسه . ص 48 .
(20) سعيد الغانمي .منطق الكشف الشعري . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. لبنـــان .ط1. 1999.ص166.
(21) محمد الأخضر عبد القادر السائحي .المصدر السابق.ص 30 .
(22) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. الكهوف المضيئة. ص 165.
(23) عبد الله حمادي. مساءلات في الفكر والأدب. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر. ط1. 1994. ص 233.
(24) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. المصدر السابق.ص141.
(25) سامي سويدان .في النص الشعري العربي. دار الآداب . لبنان. ط2. 1992.ص217 .
(26) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. المصدر السابق .ص132 .
(27) المصدر نفسه. ص129.
(28) المصدر نفسه–ص94 .
(29) المصدر نفسه–ص63.
(30) محمد الأخضر عبد القادر السائحي. ألحان من قلبي. الشركة الوطنية للنشـــر والتوزيـــع. الجزائر. ط2. 1981.ص 152 .